القيمة اللغوية في ضوء الاستبدال الثلاثي دراسة تحليلية في قصة نبي الله موسى (عليه السلام)

The linguistic value in the light of the triple substitution is an analytical study in the story of the Prophet Moses (peace be upon him)

م.د حيدر عذاب حسين

Dr. Haidar Athab Hussain

كلية الإمام الكاظم (ع) للعلوم الإسلامية الجامعة/ أقسام بابل

Imam Al-Kadhum College (a.s.) of Islamic Sciences

الكلمات المفتاحية: القيمة اللغوية، الدلالة القرآنية، دي سوسير، الاستبدال الثلاثي، قصة موسى (عليه السلام)

Keywords: linguistic value، Quranic significance، de Saussure، triple substitution، the story of Moses (peace be upon him)

الملخص

هذا بحث أردنا منه تسليط الضوء على مفهوم لساني حديث، وهو مفهوم (القيمة) الذي ينسب إلى العالم اللغوي فرديناند سوسير، ولمفهوم القيمة اتفاق ومجاورة مع عدة مفاهيم في التراث اللغوي العربي كان من أهمها النظم لعبد القاهر الجرجاني، والذي أمسى بفعل التصورات اللغوية الدقيقة نظرية لها حدودها وقوانينها، وهو ما مكننا من توظيف هذا المفهوم –القيمة– لبيان الدلالة القرآنية من طريق الاستبدال الثلاثي للألفاظ الواردة في قصة نبي الله موسى (عليه السلام)، إذ إنّ هناك آيات مباركة تتفق في سياقاتها ومحاورها التركيبة وتختلف في لفظة واحدة، هي التي شكّلت عيّنة البحث.

ومن هنا عُقِد البحث على مقدمة، وتمهيد، ونماذج تطبيقية، مذيلًا بخاتمة أودعنا فيها أهم فوائد البحث ونتائجه، أما التمهيد فبيّنا فيه مفهوم القيمة، والفرق بينه وبين الدلالة، وبعد ذلك درسنا بالتحليل بعض النماذج التطبيقية في قصة نبي الله موسى (عليه السلام) للاستبدال الثلاثي وعلاقته بالقيمة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

Abstract

which we wanted to highlight the concept of a modern tongue، which is the concept of (value) attributed to the linguistic scientist Ferdinand Susser، and to the concept of value agreement and adjacent with several concepts in the Arab linguistic heritage such as the theory of systems by Abdel-Qahir Al-Jarjani،... Otherwise، this concept has enabled us to use this concept to illustrate the Qur'anic significance through the triple substitution of the words contained in the story of the Prophet Moses (as peace be upon him)، since there are blessed verses that agree in their contexts and themes of composition and differ in one word، which formed the sample of the research.

Hence the holding of the research on the introduction، introduction، and applied models، humiliated by a conclusion in which we deposited the most important benefits of the research and its results، but the boot in which we built the concept of value، and the difference between it and the indication، and then we dealt with the analysis some applied models in the story of the Prophet Moses (peace be upon him) for the triple substitution and its relationship to value. Our last claim is that thank God is the Lord of the Worlds.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين.

أما بعد...

فليس من حافة الإسراف، ولا من قبيل المبالغة الإقرار بأنّ القرآن الكريم قد انفرد بأسلوبه المعجز، ونظمه البديع في عرض موضوعاته وقصصه المختلفة، فهو معين لغوي لا ينضب ينهل منه أهل العلم، وإنّ تدبّره ومحاولة فهمه من أشرف الأعمال، لذا نجده ما يزال مدار اهتمام الدارسين ومحط رحال الباحثين.

ودقيق اللحظ يجد أنّ الدراسات اللغوية الحديثة تطورت تطورًا ملحوظًا، فأنتجت مدارس واتجاهات عديدة ومتنوعة، والأخيرة ابتكرت مفاهيم وأفكار جديدة، منها مفهوم (القيمة) الذي ينسب إلى العالم اللغوي فرديناند سوسير، ومفهوم القيمة الحديث له اتفاق ومجاورة مع ما رصدناه من مفاهيم في التراث اللغوي العربي كنظرية النظم لعبد القاهر الجرجاني، وغيرها من مفاهيم اللغويين والمفسرين، وهذا ما مكننا من توظيف هذا المفهوم لبيان الدلالة القرآنية من طريق الاستبدال الثلاثي للألفاظ الواردة في قصة نبي الله موسى (عليه السلام)، إذ إنّ هناك آيات مباركة تتفق في سياقاتها ومحاورها التركيبة وتختلف في لفظة واحدة، هي التي شكّلت عينة البحث، ليكون عنوان بحثنا: (القيمة اللغوية في ضوء الاستبدال الثلاثي دراسة تحليلية في قصة نبي الله موسى (عليه السلام)).

وقد اقتضت طبيعة البحث أن ينتظم في مقدمة، وتمهيد، ونماذج تطبيقية تقفوها خاتمة، أما التمهيد فبيّنا فيه مفهوم القيمة، والفرق بينه وبين الدلالة، وبعد ذلك عرضنا بالتحليل بعض النماذج التطبيقية في قصة نبي الله موسى (عليه السلام) للاستبدال الثلاثي وعلاقته بالقيمة، ليقيننا بأنّ القيمة تتضح عبر هذا الاستبدال، إذ إنّ الفكرة تقوم على مبدأ المقابلة بين آيات قرآنية ثلاث تتفق نسبيًا فيما بينها وتختلف في كلمة واحدة – نقطة تقاطع المحاور–، ومن ثمّ الوقوف على الاختلاف الذي هو من دون شك يظهر قيمة لغوية تلقي بظلالها على الدلالة القرآنية لتلك الآيات الشريفة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

التمهيد: مفهوم القيمة والفرق بينه وبين الدلالة

يروم البحث في هذا الموضع الكشف عن مفهوم القيمة الذي يعد من أهم التصورات اللغوية الحديثة التي قدّمها دي سوسير ؛ فهو يرى أنّ اللغة ليست إلا نظامًا للقيم[1]، والقيمة مصطلح استحدثه للتعبير عن الهوية الوظيفية لكيان ما، عندما يظهر في النص ضمن نظام لغوي محكوم بالقوانين والقواعد، فهي نظام من المفردات المستقلة تتضح القيمة فيها عند مجاورتها لمفردات أخرى ويتحدد إنتاجها بعائدتيها لمفاهيم العلاقات التركيبية والاقترانية[2]، إذ إنّ العقل البشري يقيم نوعين من العلاقات، وهذه العلاقات تكون متداخلة ومتقاطعة في محورين تركيبي واقتراني، أما المحور التركيبي فهو العلاقة التي تجمع لفظين أو أكثر في سلسلة كلامية ما، أما المحور الاقتراني فهو يتشكل من طريق مجموعة الارتباطات يرتبها الذهن بين مفردات مخزونه اللغوي، فبذلك تتكون مجاميع لغوية تشترك بصفة ما، فعلى سبيل المثال لفظة (تعليم) تشترك معها كلمات في المادة المعجمية كـ(علم، معلم، عالم... ونحوهما) أما الاقتران فيكون عبر المدلولات المتشابهة كـ(تدريس، تلقين، تربية... وغيرها)، وأيضًا صفة الاشتراك قد تكون صيغة اللفظة (تعليم– تفعيل) يناسبها (تعميم، تسليم، تحرير...ونحوها)، إذن الكلمة في هذا المحور هي مركز المجرة تدور حوله عدة أطراف منسقة ومنتظمة غير محددة العدد[3].

والذي يمكن قوله أنّ القيمة لا تتحقق إلا بشرط أساس، وهو أنّ الألفاظ تكتسب قيمتها إذا أمكن استبدالها بغيرها، وهذا الأمر لا يتحقق إلا إذا اكتسبت اللفظة مجموعة صفات تمكنها من التقابل مع الألفاظ الأخرى[4]، فالقيمة تقوم على الفوارق الدقيقة لهذه الصفات أو المشتركات الدلالية.

ومما تجدر الإشارة إليه، قد يخلط الكثير بين القيمة والدلالة، فكلاهما يمثلان فكرة ما، والخلط ((لا يتحقق فقط من تشابههما بقدر ما يتحقق من دقة الفارق الذي تشيران إليه))[5]، إلا إنّه هناك فوارق بين هذين المصطلحين يمكن أن نوجزها بالآتي:

- تكون دلالة أي لفظة في الأغلب الأعم بمعزل عن التركيب، عكس قيمتها إذ لا تتحدد إلا بمكانها منه.
- ((القيمة أي عبارة هي محددة بمحيطها))[6].
- ((القيمة ليست سوى عنصر واحد من عناصر الدلالة))[7].

وخلاصة القول أنّ القيمة والدلالة على الرغم من الفارق الدقيق جدًا بينهما، إلا أنّه لا يصح التماثل بينهما.

بعد أن بان مفهوم القيمة والفرق بينه وبين الدلالة بقيّ أن نذكر أنّ العلماء العرب القدماء قد عرفوا القيمة وإن لم يصرحوا بها وبخاصة المفسرين وعلماء الإعجاز القرآني، عندما انبرى هؤلاء لكشف معاني القرآن ودراسة بلاغته وفصاحته، إذ كانوا يفهمون القرآن الكريم، ((ويدركون معانيه ومراميه، بمقتضى سليقتهم العربية فهمًا لا تعكره عجمة، ولا يشوبه تكرير،...وكان للقوم وقفات أمام النصوص القرآنية التي دقت مراميها وخفيت معانيها))[8]، فكانوا يجتهدون في استيضاح قيمه اللغوية من طريق نكاته الإعرابية، ودلالاته الصرفية والصوتية، ومعانيه المعجمية، للوقوف على سر الإعجاز القرآني، ومعرفة كنه صياغته اللغوية الفريدة، فالرماني يرى بأنّ قيمة القرآن الكريم تكون في بلاغته؛ لأنّ البلاغة عنده ((إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ))[9]، فالقيمة عنده مرتبطة بالبلاغة. ومثله الخطابي يرى أنّ القيمة اللغوية للقرآن هي عبارة عن ((لفظ حامل، ومعنى به قائم، ورباط لهما ناظم))[10]، فالقيمة عنده قائمة على اللفظ الحامل، والمعنى القائم، والرباط الناظم.

وإذا ذهبنا إلى إمام البلاغة عبد القاهر الجرجاني وجدناه يصرح بأنّ قيمة اللفظة لا تتحدد إلا عبر موقعها في النظم، فهو يرى أنّ اللغة ((نظام من العناصر المعتمد بعضها على بعض تنتج قيمة كل عنصر من وجود العناصر الأخرى في وقت واحد))[11].

والذي يفاد من تقري أقوال العلماء السالفة بأنّ القيمة تتمثل في البلاغة، وقيمة القرآن الكريم اللغوية قائمة على إعجازه الفريد وبلاغة نظمه العجيب.

ولا يمكن القول إنّ القيمة تنتهي أو تنحصر بهذه الجوانب، وإنّما هي ((ترادف في كل لحظة مع مصطلح موجود ضمن نظام مصطلحات متشابهة))[12]

النماذج التطبيقية للاستبدال الثلاثي في ضوء مفهوم القيمية

الاستبدال في اللغة من استبدل ((الشيء بغيره وتبدله واسْتَبدل الشيء بغيره وتبدله به إذا أَخذه مكانه. والمُبادلة: التبادل. والأَصل في التّبديل تغيير الشَّيء عن حاله، والأَصل في الإبدال جعل شيء مكانَ شيءٍ))[13].

أما في الاصطلاح فوردت عدة مفاهيم لهذا المصطلح، وسيكشف البحث عما له علاقة بمفهوم القيمة، وأول ما يجمل الإلماح إليه هو أنّ الاستبدال من المصطلحات التي اتكأت عليها الدراسات الحديثة، وهذا لا يعني أنّه

لم يرد في الدرس اللغوي القديم، فإذا جئنا لأول مدونة لغوية وأعني بها كتاب سيبويه رأينا المنهج الاستبدالي عنده قائم على أساس شكلي بعيد في أغلبه عن الافتراضات العقلية والجوانب الدلالية، فهو معتمد على مادة لغوية متمثلة في الأداء الكلامي المتحقق، ونحن إذا تتبعنا هذا المفهوم نجد له العديد من التجليات في كتابه تتوزع بين صفحاته على موضوعاته المختلفة، وأبوابه المتعددة[14].

وبمراجعة دقيقة لمصطلح الاستبدال في المصنفات المتخصصة، تبين أنّه عند (بلومفيلد) مثل شكلًا linguistc from أو ملمحًا نحويًا ((بحيث يمكنه أن يحل محل أي شكل من أشكال الأقسام اللغوية، إذا ما تحققت ظروف معينة))[15]. ويقصد بـ(الظروف المعينة) القواعد اللغوية التي تراعى في عملية الاستبدال للوصول إلى تحديد العناصر اللغوية وبيان مواقع استبدالها. أما (روبنز) فيعرفه بأنّه ((إحلال مجاميع من الكلمات محل مجاميع أخرى أو محل كلمة واحدة))[16]، فهو يرى بأنّ (الاستبدال) يحصل على مستوى التركيب أو الكلمة الواحدة.

ويرى الدكتور عبد السلام المسدي أنّ الاستبدال هو ((مجموعة الألفاظ التي يمكن للمتكلم أن يأتي بأحد منها في كل نقطة من نقاط سلسلة الكلام، ومجموعة تلك الألفاظ القائمة على الرصيد المعجمي للمتكلم، التي لها طواعية الاستبدال فيما بينها، وتقوم بينها علاقات قابلة للاستعاضة تسمى العلاقات الاستبدالية Reports pardig matiques))[17].

ويبدو أنّ هذا التعريف بلغ من الدقة أقصاها؛ لأنّه يحيل على المفادات الآتية:

- يكون الاستبدال في أي وحدة لغوية، فهو لا يقتصر على وحدة معينة.
- إنّ الألفاظ التي يتم الاستبدال بينها لا بد أن تنتمي لمعنى لغوي واحد.
- إمكانية إحلال الألفاظ أحدها محل الآخر.

وعرّفه الدكتور محمود أحمد نحلة عندما أشار إلى الفرق بينه وبين الإبدال، فقال: الاستبدال هو((إحلال عنصر لغوي محل آخر في سياق لغوي واحد، أما الإبدال فهو إبدال فونيم مكان آخر أو قلبه إليه بتأثير الأصوات المجاورة))[18].

والذي يُفاد من تقري التعريفات السالفة أنّ للاستبدال أثرًا مهمًا في كشف الألفاظ اللغوية التي يمكن أن يحل أحدها محل الآخر، ومن طريق هذا الاستبدال تتضح القيمة الحقيقية لتلك الألفاظ، وفي ضوء هذا المفهوم اختص عملنا في هذا البحث على تقديم صياغة منهجية في تحليل الآيات القرآنية الكريمة المتعلقة بقصة موسى (عليه السلام) ذات المتشابه الدلالي للسعي في بيان قيمة الألفاظ التي وقع فيها الاستبدال، إذ اقتضت منهجية البحث بأنّ تجس على نحوٍ لغوي قرآني ثلاث آيات مباركة تتفق في الدلالة العامة، وتختلف في لفظة واحدة أسميناها (نقطة تقاطع المحاور)، وبعد مقابلتها ببعضها تتضح القيمة الحقيقية لها من طريق توظيف التواشج بين آراء القدماء والمحدثين، والبحث في التفاسير، وكتب علوم القرآن، إذ إنّ ما جاء في تلك المضان إنما هو القيمة اللغوية في أذهان المفسرين.

وعملية التحليل تكون بكتابة الآيات الثلاث المتشابهة الدلالة أطلقنا عليه (المحور التركيبي)، ومن ثم رسم المحور الآخر وهو (المحور الاقتراني)، ثم البحث في دلالة الآيات الكريمة من طريق تقاطع المحاور التي تفضي إلى إظهار القيمة.

الأنموذج الأول:

قال تعالى: {إِذْ رَأَى نَاراً فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى} (طه:10).

وقال عزّ وجلّ:{إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَاراً سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ} (النمل: 7).

وقال تعالى شأنه: {فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَاراً قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ} (القصص: 29).

المتأمل في حقل التفسير يجد أنّ المفسرين معظمهم اتفقوا في تفسيرهم للآيات الشريفات المذكورة في أعلاه، وهي جميعها متعلقة بقصة موسى (عليه السلام)، القصة الأكثر ورودًا في القرآن الكريم؛ لكثرة العبر والمواعظ فيها، فالله جلّ شأنه لمّا نزّل القرآن الكريم على رسوله (صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ) اتبع ذلك بما يتأسى به ويقوي قلبه ليتحمل أعباء النبوّة وتكاليف الرسالة والصبر على الشدائد، وكان هذا بذكر أحوال الرسل والأنبياء، فبدأ بقصة موسى (عليه السلام)؛ لعظيم المحن والفتن الحاصلة له[19]، ويتضح ذلك في قوله عزّ وجلّ في سورة طه: {وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى} (طه:9)، وهذا القول ابتداء إخبار منه تعالى شأنه على وجه التحقيق[20]، وقيل: إنه استفهام تقريري بمعنى الخبر لترغيب السامع في استماع الحديث لتسليته، وكذلك إنذار للمنكرين لما يحويه من ذكر العذاب والعقاب وإتمام الحجة[21].

يتمحور المعنى العام للآيات الشريفة الآنفة الذكر على كيفية ابتداء الوحي لموسى (عليه السلام) وتكليمه إياه، فبعد أن قضى موسى الأجل الذي كان بينه وبين صهره شُعَيْبًا، اسْتَأْذَنَه مُوسى(عليه السلام) في الرّجوع إِلَى والدته فأذن له فخرج بأهله وغنمه وسار بهم من مدين قاصدًا مصر، وقَد أَخطَأَ الطَّريق في ليلة شاتية مظلمة، فقدح النار فلم تُورِ المقدحة ولم يخرج الشرر، وبينما هو كذلك إذ ظهرت له نار من بعيد على يسار الطريق عندها قال لأهله يبشرهم: {إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ}، وفي الآية الأخرى: {إِنِّي آنَسْتُ نَاراً سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ}، وفي الثالثة: {إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ}[22]، والذي يلحظ أن هناك تشابه في الآيات الثلاث سوى ثلاث كلمات هي على التوالي: (قبس، شهاب، جذوة)، إلا أنّ الرأي السائد عند معظم المفسرين واللغويين هو أنّ هذه الألفاظ ما هي إلا صور متعددة للنار وليس فيها تناقض أو تعارض[23]، ودقيق اللحظ يستنتج بأنّ الترادف منعدم في ألفاظ القرآن الكريم عند أهل اللغة والبلاغة، فدلالات ألفاظه تحمل فروقًا تخرجها عن معنى التشابه والترادف، فالقرآن الكريم مؤلف من ألفاظ متعددة تسمى (وحدات لغوية صغرى)، ومعظم هذه الألفاظ هي مما كان متداولًا لدى العرب ومعانيها معروفة عندهم، ومع ذلك

نجد كثيرًا من الأحاديث أشارت إلى عجز البشر عن الإحاطة بالقرآن الكريم؛ لسعته وبلاغته المتناهية[24]، منها عن أبي سعيد الخدري إذ قال: ((قال رسول الله (صلى الله عليه [وآله] وسلم): فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على غيره))[25]، وقول علي (عليه السلام) في وصف صفاته: ((ولا تنقضي عجائبه...))[26]، وقوله أيضًا: ((...وبحرًا لا يدرك قعره...))[27]، وهكذا يتضح لنا جليًا أنّ كل تفسير للقرآن هو علم بشري فمهما كان نوع هذا التفسير يكون الخطأ فيه واردًا.

ويمكن تمثيل الآيات الثلاث الكريمات على محوريّ التركيب والاقتران على وفق المخطط الآتي:

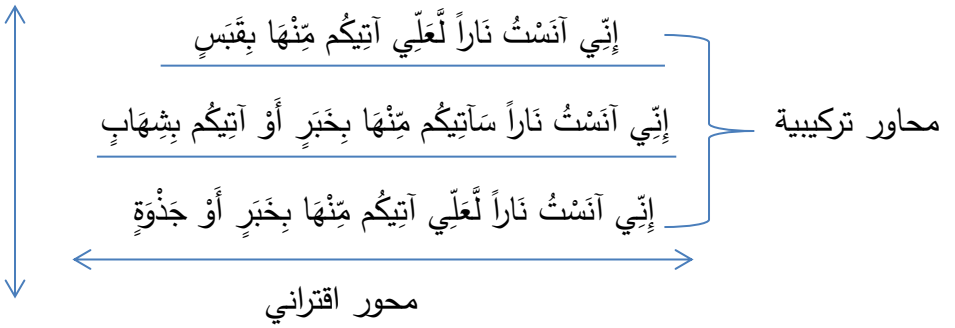

ولو أنعمنا النظر قليلًا لاتضح الاستبدال جليًا بين الآيات الكريمات عند الألفاظ (قبس، شهاب، جذوة)، ولكون ((النظام اللغوي عبارة عن سلسلة من الفروق الصوتية تقابل سلسلة من الفروق في المفاهيم))[28]؛ فلا بد من وجود قيمة لغوية يبينها الاستبدال بين الكلمات الثلاث في سورة (طه، النمل، القصص) الآنفة الذكر.

وإذا بان لنا التشابه الموجود في صدر النصوص (الآيات الثلاث) تعيّن أن نتساءل عن الدلالات الأخرى التي تظهر نتيجة الاختلافات في نهاية كل نص مع اتحاد المعنى في أوله، وهذا الذي أطلق عليه سوسير (القيمة)، فهو يرى أنّ قيمة ((أي عبارة إنما هي محددة بمحيطها، حتى أنّ كلمة (شمس) لا تحدد قيمتها إلا إذا نظرنا إليها في محيطها))[29]، وقد يظن أنّ ذلك ازدواجية في الدلالة، إلا إنّ الأمر عند سوسير مختلف، فالحقيقة اللغوية العلمية التي لا مراء منها أنّ كل كلمة ((تعرب إلى نظام معين لم تمنح المعنى وحسب؛ بل أضفي عليها وبشكل خاص قيمة معينة وهذا يعني شيئًا آخر))[30].

إنّ نقطة تقاطع المحاور كما أسلفنا هي: (قبس)، (شهاب)، (جذوة)، وهذه النقطة تعد قيمة لغوية قوامها التقابل بين هذه الألفاظ كما سيوضحه الآتي:

إنّ بعض المفسرين واللغويين يتفقون على أنّ هذه الألفاظ (قبس، شهاب، جذوة) جميعها مترادفة وتعني النار، أو جعلوا الواحدة نعتًا للأخرى[31]، أو كلها كما قال الكرماني: ((في السّور الثَّلَاث عبارة عن معبر واحد))[32]، وهذا يخالف ما اتفق عليه أغلب دارسي كتاب الله الكريم على أنّ ((كل لفظ في القرآن له معنى قائم بذاته، وفيه إشعاع نوراني يتضافر مع جملته، ويساعد بعضه بعضًا في المعاني العامة للأسلوب والعبارات الجامعة، إنّ العبارات مجتمعة يساعد بعضها بعضًا))[33]، والذي يبدو أنّ ما أوصلهم إلى هذا الاعتقاد عدم محاولتهم معرفة دلالة وقيمة هذه الألفاظ القرآنية عبر سياقاتها اللفظية والمعنوية.

وبحكم هذا التشابك الدلالي قد يسأل سائل إذا كانت القصة واحدة–(قصة موسى)– فلمَ السياقات مختلفة؟، فمرة قال: (قَبس) وهو أي شيء يؤخذ من النار[34]، وثانية قال: (شهاب) وهو الشعلَة الساطعة من النار والتي تكون في طرف عود[35]، وثالثة: (جذْوة) وهي قطْعة من الجمر[36].

نقول: إنّ المتأمل للحالة النفسية الصعبة التي كان يعيشها موسى (عليه السلام) ومعه امرأته ومولوده الصغير وخادمه وهو تائه وقَد أَخطَأَ الطَّريق في ليلة شاتية مظلمة، يجد أنّه من الطبيعي والبديهي أن يختلف السياق في هذا الموقف الذي ضمّ عدة مشاهد لا يمكن أن تختصر بجملة واحدة أو كلمة، فلما رأى موسى النار لأول وهلة وأخبر أهله بها متيقنًا منها ليُطمئنهم: (إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ)، وقد يكون قال هذا القول لامرأته وولده، وربما كرر قوله بتغيير اللفظ لخادمه وذلك بعد أن راجعوه، ووجدهم متعلّقين به فكلٌ واحد منهم يستقبل الخبر منه بشكل مختلف؛ لذلك اختلفت الأقوال في الموقف الواحد[37]، لا سيما إذا علمنا أنَّ اللغة قائمة على البناء الصوتي وتتحقق بالأداء المنطوق المسموع، وهي ((عمل فيزيولوجي إذ تقوم على تدفق عدد من أعضاء الجسم في عمل متواقت متشابك، وهي فعل نفساني بما أنها تستند إلى نشاط إرادي تتحرك بأوامره ملكات عدة))[38]، لهذا عندما كان موسى (عليه السلام) على يقين من وجود النار، قال: (آتيكُم مِّنْهَا بقَبس) بمعنى أي شيء يؤخذ منها، وبعد أن قل رجاؤه لظنه أنّه ربما يجد النار قد انطفأت، قال: (آتيكم بشهاب قَبَس) أي: شعلة في طرف عود، كما أسلفنا، ولمّا قل رجاؤه أكثر، قال: (آتيكُم منْها بخَبَر أَو جذوة)، لتوقعه أنه سيجد النار قد خمدت وسكن لَهيبها وبقيّ جمرها.

إذن هي كما قال الشعراوي: ((لقطات مختلفة تُكوّن نسيج القصة الكاملة، وتعددتْ الكلمات لأن الموقف قابلٌ للمراجعة، ولا ينتهي بكلمة واحدة))[39].

أما الدكتور فاضل السامرائي فقد ذهب في تعليل الاستبدال والاختلاف الحاصل في سياقات قصة موسى (عليه السلام) إلى أبعد من ذلك، عند عقده مقارنة بين سورتي (النمل، والقصص)، إذ ذكر طائفة من الاختلافات، أهمها: إنّ قصة موسى (عليه السلام) وردت مُفصَّلةً في سورة القصص، أما في سورة النمل فقد جاءت مُوجَزة مجملة. ويرى أيضًا أنّ المقام في سورة النمل، مقام تكريم لموسى أكثر مما هو في سورة القصص، معللًا في ذلك أنّ الجو كان في سورة القصص مطبوعاً بطابع الخوف الذي استحوذ على موسى (عليه السلام)[40].

والذي يبدو أنّ الدكتور السامرائي يعتمد في ذلك على افتراضات عقلية فضلًا على بعض الجوانب الدلالية للمادة اللغوية المتمثلة في الأداء الكلامي المحقق. نذكر بعضها مما يتعلق بمدار البحث، إذ يذكر أنّ موسى (عليه السلام) قطع في سورة النمل على نفسه أن يأتيهم بخبر أو شهاب قبس، بينما في سورة القصص ترجّى ذلك، والقطع أشق وأصعب من الترجي، فالسامرائي يرى أنّ المهمة التي ستوكل إليه في سورة النمل، هي أصعب مما في سورة القصص، فطلب منه في الأولى أنّ يُبلِّغ فرعون و(قومه) ما أوحي إليه، أما في الثانية فطلب منه أن يبلغ فرعون و(ملأه). وتبليغُ القوم كما يذكر الدكتور السامرائي أوسعُ وأصعب من تبليغ الملأ[41]. أما إذا عدنا

إلى الألفاظ: (قبس)، (شهاب)، (جذوة)، فهو يرى –السامرائي– أنّ ذكر الجمرة يكون في موطن الخوف، كما في سورة القصص، وذكر الشهاب أو القبس يكون في غير ذلك كالذي في سورة النمل[42].

وقد يتبادر في هذا المقام سؤال مفاده ماذا لو طبقنا تحليل الدكتور السامرائي في مقارنته بين آيات سورة النمل وسورة القصص على آيات سورة طه المشتركة معهما في قصة موسى (عليه السلام)؟. أقول سنجد الآتي والله أعلم، أولًا: أنها تشترك مع سورة القصص في (الترجي)، وذلك في (لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ). ثانيًا: لمّا كان الموطن موطن ترجي وهو أقل صعوبة من القطع ذكر في سور طه لفظة فرعون وحدها ولم يذكر لا قوم ولا ملأ، وذلك في قوله تعالى: {اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى}(طه:24)، بذلك هي تشبه سورة القصص. ثالثًا: تتفق مع سورة النمل بثبات الجنان على وفق ما ذكره الدكتور السامرائي بأنّ ذكر لفظة القبس أو الشهاب يدل على الثبات والقوة وعدم الخوف خلاف الجذوة التي ذكرت في سورة القصص.

والحاصل أنّ كل هذه الاختلافات والاتفاقات إنما تكون في كلمة من كلمات التركيب؛ ((لأنّ الكلمة جزء من النسق فهي لا تكتسي دلالة فحسب بل تكتسي أيضًا على وجه الخصوص قيمة))[43]

<u>الأنموذج الثاني:</u>

قال تعالى: {فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ} (الأعراف: 107)

قال تعالى: {فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى} (طه: 20)

قال تعالى: {وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ} (النمل:10)

لو أنعمنا النظر في الآيات المباركة لألفينا أنّ الدلالة العامة متحدة فيها؛ إذ إنّ المعني بها جميعًا هو نبي الله موسى (عليه السلام) بالنظر إلى المتقدم من الآيات الشريفات، ففي سورة الأعراف قال تعالى: {وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ} (الأعراف: 104)، وقوله عزّ وجلّ في سورة طه: {قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى} (طه: 19)، وفي سورة النمل قال تقدست أسماؤه: {يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (النمل: 9)

وعلى وفق المنهج المتبع في الأنموذج الأول، فإنه لا بد من توافر ثلاث نماذج تكون متشابهة في وحدة الموصوف مختلفة فيما يليه. وفي الآيات الشريفة، فإنّ اتحاد النماذج متمثل في: إلقاء العصا، (وَأَلْقِ عَصَاكَ، فَأَلْقَاهَا، وَأَلْقِ عَصَاكَ)، أما الاختلاف الذي سيكون عليه تحليل المحاور فيمثله التعقيب: (ثُعْبَانٌ، حَيَّةٌ، جَانٌّ).

قال المفسرون في تفسير الآية الأولى (الأعراف: 107): إنّ فرعون طلب من موسى (عليه السلام) أن يأتيه بمعجزة من ربه ليثبت صحة دعواه وصدقه، عندها ألقى موسى عصاه فإذا هي ثعبان مبين ظاهر أمره لا يشك فيه، وهذا الثعبان توجه نحو فرعون ليلتقمه فوثب فرعون من كرسيه وهرب[44].

أما في معنى الآية الثانية(طه: 20)، فقالوا: إنّ الله عزّ وجلّ لمّا أراد أن يهيئ موسى (عليه السلام) لتلقي النبوءة وتكاليفها أمره بإلقاء العصا التي كانت بيده فقلب الله أوصافها وأعراضها، والعصا كانت ذات شعبتين فصارت حيَّة تنتقل وصارت الشعبتان فمًا لها[45]، وهذا ((برهان من الله تعالى لموسى (عليه السلام)، ومعجزة

عظيمة، وخرق للعادة باهر دل على أَنَّه لا يقدر على مثْل هذا إِلَّا الله عزَّ وجلَّ، وأَنَّه لَا يَأْتي به إِلَّا نبيّ مرسل))[46]. ولا يختلف المفسرون في مناسبة وتفسير الآية الثالثة (النمل:10) كثيرًا عن آية سورة طه المذكورة آنفًا، وهو تمهيد للمعجزات التي أَراد الله أَنْ يظْهرها على يد موسى (عليه السلام)، وإذعان بنبوته، وكيف اصطفاه الله رسولًا وأعطاه من الآيات الْعظيمة والأَدلَّة الْقَاهرة؛ ليبعثه بعدها إلى فرعون وملئه[47]. فظاهر الآيات يوحي بأنها متحدة المعنى في أنها تحكي بداية نبوة موسى (عليه السلام)، لأنّ التفسير هو بيان المعنى الظاهر من الألفاظ، وقطعًا أنّ المفسرين لم يدركوا عموم الفوائد اللغوية لاختيار ألفاظ القرآن الكريم؛ إذ إنّ ((كل كلمة من كلمات القرآن كنز معانٍ، وبحر حقائق))[48]، فالنظر في المعاني التي تنتجها الكلمات يكون المنطلق الأول لفهم القيمة ومن ثم فهم الدلالة على وفق تلك القيمة.

ويمكننا تمثيل الآيات الشريفة على محوري التركيب والاقتران بالآتي:

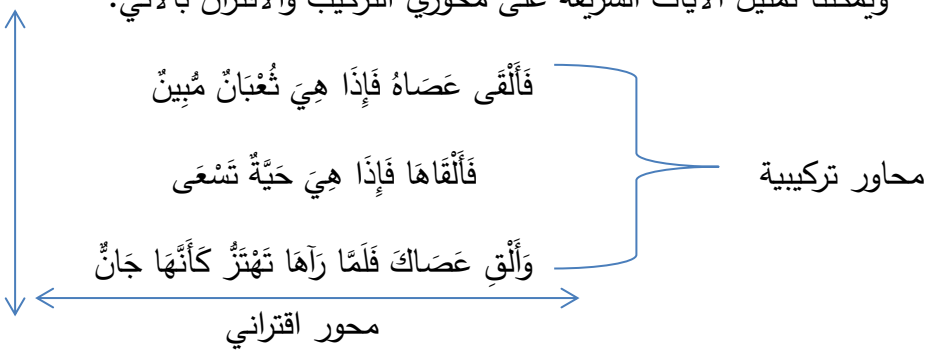

تتقاطع التركيبات الثلاثة عند (ثُعْبَانٌ، حَيَّةٌ، جَانٌّ) على الترتيب، وهذا التقاطع هو القيمة؛ لأنّ القيمة هي حصيلة العلاقات التركيبية والعلاقات الاقترانية[49].

يتفق معظم المفسرين كما أسلفنا أنّ الألفاظ الثلاثة في الآيات الكريمة هي لموصوف واحد وهو العصا التي كانت في يمين موسى (عليه السلام)، إلا أنّ منهجية البحث القائمة على القيمة ومفهومها تقتضي وجود تباين دلالي ناتج عن تباين تلك الألفاظ؛ فـ((المعنى اللغوي يختلف نتيجة لنوع الوحدات الداخلة في التركيب ولمواقعها فاختلاف البنيات التشكيلية والمواقع الوظيفية يتبعه اختلاف دلالي وفقًا لحالات الاستعمال))[50].

إنّ نقطة تقاطع المحاور في الآيات الكريمة كما ذكرنا أنفًا هي: (ثُعْبَانٌ)، (حَيَّةٌ)، (جَانٌّ) وهذه النقطة تمثل قيمة لغوية تقوم على التقابل الحاصل بين هذه الألفاظ كما سيبينه الآتي:

- يرى بعض المفسرين إنّ النداء الذي سمعه موسى (عليه السلام) في قوله تعالى: {فَلَمَّا جَاءهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}(النمل: 8)، لم يكن معجزة في ذاته؛ لاحتمال أن يكون هذا من عادات الملائكة أو الجن، لذلك قلب الله عصا موسى حية لتكون معجزة ودليلًا قاهرًا يعرف بها نبوة نفسه[51]. فقال في سورة النمل: (كَأَنَّها جَانٌّ)، وهذا اللفظ قد كرره في سورة (القصص: 31)، والجان هو فرخ الحية مائل إلى الصغر، وشبهها بـ(الجانّ) في سرعة الاضطراب، لأن الصغار أكثر حركة من الكبار (الحية، والثعبان)، والحكمة الإلهية في قلب العصا (جان) في أول نبوة موسى (عليه السلام) أنّه سبحانه وتعالى أراده أن يشاهد الجان (فرخ الحية) أولًا حتى إذا ذهب إلى فرعون لا يخاف عندما تصبح العصا ثعبان عملاق[52]. وهكذا نقول

إنّ الإلقاء الأول للعصا كان تدريبًا واقعيًّا من الله سبحانه وتعالى لموسى (عليه السلام)؛ وذلك ليعلم ويتيقن أنّ العصا ستستجيب له بإذن الله حين يلقيها فتنقلب حية[53].

– لا شكّ في أنّ لكل لفظة قرآنية دلالة خاصة تميزها حتى عن أقرب الألفاظ إليها، ومن أساليب العرب في كلامهم أنّ أي شيء مسمى وله أهمية عندهم كثرت أسماؤه على وفق استعمالاته، وتنوع أحواله وصفاته، على سبيل المثال (الجمل) الذي حظي بأهمية كبرى عندهم، أطلقوا عليه أسماء كثيرة تصف أحواله وشؤونه حتى وصلت إلى أكثر من (أربعة وأربعين وستمائة وخمسة آلاف)[54]، ومن هذا التحديد يمكن الجزم بأنّ القرآن الكريم الذي نزل بلغة العرب إذا اهتم بشيء ذكره بأوصاف وأحواله، كما في اللفظة موضوع البحث (حية)، فبعد أنّ أسماها (جان) في سورة النمل نجده في سورة(طه: 20) يقول: (حَيَّةٌ تَسْعَى)، والْحيّة اسم جنْس يطلق على الذَّكر والأنثى والصغير والكبير من الحيات، فلا تناقض بين آية سورة (النمل: 10)، وآية سورة(طه: 20)، ونستند في ذلك على السمات السياقية اللفظية والمعنوية المتشابهة في الآيتين، وهذا خلاف لفظة (ثعبان) التي جاءت في سورة (الأعراف: 107) كما سنوضح.

– مما لا نزاع فيه أنّ لفظة (جان) –الحية الصغيرة– التي وردت في سورة (النمل: 10)، وسورة (القصص: 31)، إذ قلب الله عصا موسى جانًا جاءت؛ لتكون معجزةً له ويعرف بها نبوة نفسه وعلى وفق السياق والمقام المذكور آنفًا. أما في سورة (الأعراف: 107)، فنلحظ أن السياق والمقام مختلف، فبعد أن ثبتت نبوة موسى (عليه السلام) وقامت حجة الله عليه بعثه تقدست أسماؤه إلى فرعون إذ قال: {ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُواْ بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ، وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ} (الأعراف:103– 104). فاستنكر فرعون كلام موسى وكذبه، وقال له: إن كنت يا موسى جئت من عند ربك بآية فأتني بها وأحضرها الآن ليثبت صدقك، وتصح دعواك، وذلك في قوله عزّ وجلّ: {قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ} (الأعراف:106)، فكأنما الله تعالى يخبرنا عن مناظرة موسى لفرعون ليظهر له آيات ربه ويلجمه بالحجة، أما مجادلة فرعون لموسى (عليه السلام) فتدل أنّه قد دعاه إلى التوحيد، لذلك طلب فرعون منه دليل نبتوه وصدق ما يدعي، فحدث الإلقاء الثاني للعصا، إذ قال تعالى: {فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ} (الأعراف: 107)، أي أنّ موسى (عليه السلام) بادر ((فَألقى عصاه فَإِذا هي ثعبان مبين فحملت على الناس فَانهزموا منها، فمات منهم خمسة وعشرونَ أَلْفًا قَتل بعضهم بعضًا، وقَام فرْعَون منهزمًا حتى دخل البيت))[55]. وينبغي أن نشير هنا إلى أنّ هذه الآية المباركة ذكرت بلفظها ومعناها في سور الشعراء، إذ قال عزّ وجلّ: {فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ} (الشعراء: 32)، وهو الإلقاء الثالث للعصا وهو إلقاء التحدي للسحرة، فلكل إلقاء موقعه الخاص به، فلا يعد ذلك تكرارًا. و((إنما هو تأسيس لتعدد المواقف والملابسات، فلكل موقف ما يتطلبه، فلا تغني لقطة هنا عن لقطة هناك))[56].

نخلص مما تقدم أنّ آراء المفسرين للآيات الكريمة المذكورة آنفًا وبيان دلالاتها يعد محورًا مهمًا من محاور القيمة، فالتقاطعات التي حصلت للألفاظ أعادت صياغة الدلالة مرة أخرى، لتتضح –القيمة– على وفق ما تفرضه الاختلافات والتقابلات بين تلك الألفاظ، فاللفظة التي تتقارب دلالتها من غيرها في المعنى العام يكون لها قيمة لا

تنكشف إلا في سياقها الذي ترد فيه وتقاطعها مع غيرها من الألفاظ[57]، فنرى أنّ التباين الحاصل في نسبة استعمال هذه الألفاظ يكون لتباين القيمة الدلالية لكل لفظ منها.

الأنموذج الثالث:

قال تعالى: {وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى}(طه:22).

قال تعالى: {وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ}(النمل:12).

قال تعالى: {اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ}(القصص:32).

تصور الآيات المباركة في أعلاه الْمعجزة الثانية لنبي الله موسى (عليه السلام)، وهي آية اليد البيضاء، وهو برهان أُخر علّمه الله لنبيه ليتحدى به فرعون وقومه، إذ إنّ اللَّهَ أَمر موسى (عليه السلام) أَنْ يُدخل يده في جيبه أو يضممها إلى جناحه، فكان (عليه السلام) إذا أَدخل يدهُ الْيمنى في جيبه أو تحت إبطه ثم أَخرجها، تكون من غير سوء، أي من غير برص، وتبرق مثْل البرق، وقيل تضيء مثْل الشّمس، ثُمَّ إِذَا ردّها تعود إلى طبيعتها ولونها الْأَول من دون ضياء؛ حتى لا يظن فرعون وقومه أنّ يد موسى (عليه السلام) أصابها البرص، فكان من عادتهم سوء الظن بمن يصيبه البرص[58].

يمكننا تمثيل الآيات الشريفة على محوري التركيب والاقتران بالآتي:

محاور تركيبية

واضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ

وأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ

اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ

يؤدي السالف إلى فرض ساطع أنّ هناك ثلاث آيات مباركة من سور مختلفة تتفق في المعنى اتفاقًا نسبيًا وتختلف في لفظة واحدة، وهي (نقطة تقاطع المحاور). إذ تتقاطع التركيبات الثلاثة عند الألفاظ: (اضمم، أدخل، اسلك)، وهذا التقاطع هو القيمة، وفيما يأتي إيضاح لدلالة هذه الألفاظ في نصوصها المقدسة.

– إنّ المعنى اللغوي للفظة (اضمم) هو الجمع، أي من ضم يضم الشيء إليه[59]، أما (اضمم) الواردة في سورة طه فقد اكتسبت معنى أخر توضح لنا من طريق العبارة التي تلت تلك اللفظة في الآية المباركة، فالنظر إلى المعاني التي توحي إليها كلمات العبارة يعد المنطلق الأساس لمفهوم القيمة، ومن ثم الدلالة على وفق تلك القيمة. فلما أراد الله سبحانه وتعالى أن يدرب موسى (عليه السلام) في تلقي النبوءة وأمره بإلقاء العصا فَأَلْقاها، فقلب الله أوصافها وأعراضها كما ذكرنا آنفًا، وكانت هذه المعجزة الأولى، أعقبها بمعجزة ثانية إذ أمره أن يضم –

يدخل– يده إلى جناحه، ثم يخرجها فتكون بيضاء تشف وتضيء كأنها شمس، والحق أنَّ موسى (عليه السلام) في هذا الموقف ما زال مرتعبًا؛ لذلك استعمل لفظة (اضمم) دون غيرها، إذ إنّ ضم اليد إلى الجناح يفتر الرعب، ويربط الجأش، ويخفف التوتر، والمراد بالجناح اليد؛ لأنّ يدي الإنسان يُشبهان جناحي الطَّائر، والضم هنا إدخال اليد اليمنى تحت إبط اليسرى، فبذلك جمع الله تعالى في هذه الآية لموسى (عليه السلام) تفتير الرعب ومعجزة اليد البيضاء، والمعروف أن موسى (عليه السلام) كانت بشرته سمراء اللون، فإنّ تحول لون يده إلى الأبيض بخلاف باقي أجزاء جسمه يعد معجزة كبرى[60]؛ لأنّ بياضها ليس البيضاء الممزوج في سمرة نتيجة مرض كالبرص أو البهاق، والذي يعد عيبًا عند قوم فرعون، بدليل قوله تخرج بيضاء من غير سوء، أي من غير عيب.

– يرى بعض المفسرين أنّ معنى إدخال اليد في الجيب الوارد في(سورة النمل:12) هو المعنى نفسه الذي جاء في (سورة طه:22)، ويرون أنّ الإنسان إذا كان أدخل يده في جيبه كان قَد ضمّها إلى جناحه[61]. ونحن نرى أنّ لكل لفظة دلالتها الخاصة المتناسبة مع الآية التي وردت فيها، والتقابل الذي حصل بين الآيتين قد أعطى قيمة لغوية أخرى، فالجيب هو مكان دخول الرأس من الثوب، ويقال: جيَّبْت القميص، أي عملت له جيبًا، ويجوز أن يراد بالجيوب الصدور كقولهم: ضربت بخمارها على جيبها، أي على صدرها[62]، أما الجناح فهو اليد كما ذكرنا آنفًا، إذن الضم في آية (سورة طه) هو إدخال اليد اليمنى تحت إبط اليسرى لتخفيف التوتر والقلق والخوف الذي كان يشعر به موسى (عليه السلام) في أول نبوته، ثم جاء لفظ الإدخال بعدما تيقن واطمئن وثبتت نبوته عنده.

– وردت في سورة القصص لفظة (اسلك)، وفيها عدة آراء، وقبل الولوج فيها لا بد لنا من وقفة قصيرة للمح المعنى اللغوي لـ(سلك)، يقال: طريق سالك: أي طريق خالٍ من الحواجز والعوائق، وغير مسدود، وسلَكتُ الشّيء في الشيء، فانسَلك أَي أَدخلته فيه فدخل بيسر وسهولة، وأسْلَكَها: أدْخَلَها فيه[63]. ومن كل هذا التأسيس اللغوي يرى أغلب المفسرين أن لفظة (اسلك) في الاستعمال القرآني لها دلالة واحدة في جميع مواردها وهي (الإدخال بسهولة)[64]. إلا أنّ السّلك أو السلوك أعم من الإدخال فقد يكون إدخالاً وغير إدخال، فنقول: سلكتُ الطريق، وسلكت المكان، بمعنى: سرتُ فيه[65]، كما في قال تعالى: {فاسلكي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً} (النحل: 69)، وقوله: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ الله أَنزَلَ مِنَ السمآء مَآءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الأرض} (الزمر: 21).

وهناك من يرى بأنّ الفعل (أدخل) أبلغ من (اسلك) وحجته في ذلك بأنّ (أدخل) يأْتي متعديًا لا غير بخلاف (اسلك) الذي يأْتي لازمًا ومتعديًا، لذلك خصت سورة القصص بـ(اسلك يدك)، وسورة النمل بـ(أدْخل يدك)[66]. لذلك يرى الدكتور فاضل السامرائي: إنّ (السلوك) ناسب موطن السهولة واليسر، بينما (الإدخال) ناسب موطن المشقة والتكليف الصعب[67]، فهو يذكر في غير مرة بأنّ الجو في سورة القصص كان مطبوعًا بالخوف والمشقة بخلاف ما كان في سورة النمل من يسر وسهولة، إذ كان المقام على قوله مقام تكريم لموسى (عليه السلام)[68]، وقد فصلنا القول في ذلك عند تحليلنا الألفاظ (قبس، شهاب، جذوة) في الأنموذج الأول.

يفاد من تتبع أراء المفسرين السالفة للألفاظ الثلاث المذكورة آنفًا في الآيات القرآنية الشريفة وبيان دلالاتها بأنّها تؤلف محورًا مهمًا من محاور القيمة، فتلك التقاطعات هي التي أعادت صياغة الدلالة مرة ثانية لتتضح القيمة.

وصفوة القول: إنّ الألفاظ الثلاث (اضمم، أدخل، اسلك) هي ليست تكرارًا كما يظنها بعضهم، وإنما هي لقطات متكاملة لقصة الواحدة، وقيمة تلك الألفاظ تعرفت تعريفًا دقيقًا عندما تحدد مكانها في المحور التركيبي وتقاطعها في المحور الاقتراني، واستحالة الاستبدال بينها مع وجود مشترك دلالي.

الخاتمة

بعد رحلة علمية شائقة جسسنا فيها مفهومًا لسانيًا حديثًا – القيمة –، وفي محاولة لطي الصفحات الأخير من البحث وجدنا أنّ هناك نتائج تتعلق بالموضوع، يمكن إجمالها على النحو الآتي:

– إنّ مفهوم القيمة اللغوية مصطلح حديث، وهو من تصورات دي سوسير، ورصدنا له تجليات عند بعض اللغويين العرب القدماء ومفسري القرآن، إلا أنّهم لم يذكروه صراحة.

– ارتبط مفهوم القيمة بمحوري التركيب والاقتران، وهما من ابتكارات دي سوسير، وهو صاحب الريادة فيهما، إذ لم يذكرهما أحد قبله.

– بيّن البحث أنّ القيمة تختلف عن الدلالة، لكنها قد تقترب منها بشكل كبير يصعب التميز بينهما.

– أظهر البحث منهجية جديدة في الكشف عن الدلالة القرآنية، وهي منهجية الاستبدال الثلاثي للألفاظ، التي تقوم على مبدأ التقابل وتحليل المختلف منها.

– أظهر الاستبدال الثلاثي للألفاظ من طريق تحليل الآيات المباركة المتعلقة بسورة نبي الله موسى (عليه السلام) قيمًا لغوية مختلفة اعتمدها المفسرون في تفسيرهم لتلك الآيات الكريمة.

الهوامش:

([1]) ينظر: علم اللغة العام: 131.

([2]) ينظر: معجم علم اللغة وعلم الأصوات: 488.

([3]) ينظر: دروس في الألسنية العامة: 186– 190.

([4]) ينظر: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة: 15.

([5]) فصول علم اللغة العام: 198.

([6]) محاضرات في الألسنية العامة: 141.

([7]) علم اللغة العام: 131.

([8]) التفسير والمفسرون: 1/ 6.

([9]) النكت في إعجاز القرآن: 76.

([10]) بيان إعجاز القرآن: 27.

([11]) دلائل الإعجاز: 1/ 45.

([12]) فهم فرديناند دو سير: 22.

([13]) ينظر: لسان العرب: 11/ 48.

([14]) ينظر: الكتاب: 1/ 16-17-40-44-181-، 2/ 23- 28-، 290، 30-، 31-، 38-، 39-، 3/ 6، 268، 4/ 221- 228-234. وآفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: 208.

([15]) الأنماط الشكلية لكلام العرب: 1/ 181.

([16]) ينظر: المصدر نفسه: 1/ 184.

([17]) الأسلوبية والأسلوب: 139.

([18]) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: 206.

([19]) ينظر: الكشاف: 53/3، ومفاتيح الغيب: 15/22.

([20]) ينظر: مجمع البيان: 8/7.

([21]) ينظر: الميزان: 103/20.

([22]) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: 171/11، وتفسير القرآن العظيم (ابن كثير): 244/5.

([23]) ينظر: تفسير الشعراوي: 9227/15، ولمسات بيانية: 92/1.

([24]) ينظر: منهج المدونة المغلقة: 56-57.

([25]) فضائل القرآن: 274.

([26]) نهج البلاغة: 152، (الخطبة152)

([27]) نهج البلاغة: 501، (الخطبة 158)

([28]) أعلام الفكر من سقراط إلى سوسير: 274.

([29]) محاضرات في الألسنية العامة: 141.

([30]) أعلام الفكر اللغوي من سقراط إلى سوسير: 269.

([31]) معالم التنزيل في تفسير القرآن: 6/ 144.

([32]) أسرار التكرار في القرآن: 174.

([33]) المعجزة الكبرى القرآن: 1/ 130.

([34]) ينظر: مختار الصحاح: 246.

([35]) ينظر: لسان العرب: 1/ 509، و: 6/ 167.

([36]) ينظر: المصدر نفسه: 14/ 138.

([37]) ينظر: تفسير الشعراوي: 15/ 9228.

([38]) مباحث تأسيسية في اللسانيات: 152.

([39]) تفسير الشعراوي: 15/ 9228.

([40]) ينظر: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل: 92.

([41]) ينظر: المصدر نفسه: 105.

([42]) ينظر: المصدر نفسه: 96.

([43]) مدخل إلى لسانيات سوسير: 88.

([44]) ينظر: الكشاف: 2/ 138، والمحرر الوجيز: 439/2.

([45]) ينظر: المحرر الوجيز: 41/4، ومجمع البيان: 14/7.

([46]) تفسير القرآن العظيم: 246/5.

([47]) ينظر: مفاتيح الغيب: 24/ 545، وتفسير القرآن العظيم: 6/ 262.

([48]) بصائر ذوي التمييز: 1/ 71.

([49]) ينظر: ثنائيات اللغة (بحث): 2.

([50]) عالم اللغة عبد القاهر الجرجاني: 231.

([51]) ينظر: مفاتيح الغيب: 22/ 27.

([52]) ينظر: المحرر الوجيز: 4/ 250، وينظر: مفاتيح الغيب: 22/ 27.

([53]) ينظر: تفسير الشعراوي: 7/ 4280.

([54]) ينظر: الوجيز في فقه اللغة: 395، ودقائق الفروق اللغوي في البيان القرآني: 63.

([55]) تفسير القرآن العظيم: 3/ 409.

([56]) تفسير الشعراوي: 7/ 4280.

([57]) ينظر: فهم فرديناند دوسوسير: 118.

([58]) ينظر: مفاتيح الغيب: 23/ 28.

([59]) ينظر: لسان العرب: 12/ 359.

([60]) ينظر: المحرر الوجيز: 4/ 41.

([61]) ينظر: مفاتيح الغيب: 32/ 28.

([62]) ينظر: الكشاف: 3/ 231، لسان العرب: 1/ 288.

([63]) ينظر: لسان العرب: 10/ 442، والقاموس المحيط: 1/ 943.

([64]) ينظر: الكشاف: 3/ 408، و المحرر الوجيز: 4/ 285، و مفاتيح الغيب: 24/ 595، والبحر المحيط: 8/ 303، و تفسير القرآن العظيم: 6/ 235، والتحرير والتنوير: 20/ 114، و تفسير الشعراوي: 17/ 1748، ولمسات بيانية في نصوص من التنزيل: 111.

([65]) ينظر: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل: 112.

([66]) ينظر: أسرار التكرار في القرآن: 192.

([67]) ينظر: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل: 112.

([68]) ينظر: المصدر نفسه والصفحة نفسها.

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**

– أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان: محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء (المتوفى: نحو 505هـ)، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، مراجعة وتعليق: أحمد عبد التواب عوض، دار الفضيلة.

– أعلام الفكر اللغوي من سقراط إلى سوسير: روي هاريس، تولبت جي تيلر، ترجمة: أحمد شاكر الكلابي، دار الكتاب الجديد، ليبيا،ط1، 2004م.

– آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: محمود أحمد نحلة، ط1، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2006م.

– الأنماط الشكلية لكلام العرب نظرية وتطبيقًا دراسة بنيوية، جلال شمس الدين، مؤسسة الثقافة الجامعية، شارع سويتر، الإسكندرية، 1995م.

– البحر المحيط في التفسير: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، ط1، 1420هـ.

– بصائر ذوي التمييز في لطائف كتاب الله العزيز: مجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: 817هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.

– بيان إعجاز القرآن: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: 388هـ)، تحقيق: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط3، 1976م.

– التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : 1393هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس،1984م.

– تفسير الشعراوي: محمد متولي الشعراوي (المتوفى: 1418هـ)، مطابع أخبار اليوم، 1997م.

– تفسير القرآن العظيم (ابن كثير): أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، ط1، 1419 هـ.

– التفسير والمفسرون: محمد السيد حسين الذهبي (المتوفى: 1398هـ)، مكتبة وهبة، القاهرة.

– ينظر: ثنائيات اللغة، أصول النظرية اللسانية (بحث): دليلة مزور، محمد خضير، قسم الآداب واللغة العربية، كلية الآداب واللغات بسكرة.

– الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (المتوفى: 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1964م.
– دروس في الألسنية العامة: فردينان دي سوسير، ترجمة: صالح القرمادي، محمد الشاوش، محمد عجينة، الدار العربية للكتب، ط1، 1985م.
– دقائق الفروق اللغوي في البيان القرآني: محمد ياس خضر الدوري، دار الفكر العالمية، بيروت، ط1، 2006م.
– دلائل الإعجاز في علم المعاني: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: 471هـ)،تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، ط3، 1413هـ – 1992م.
– عالم اللغة عبد القاهر الجرجاني المفتن في العربية ونحوها: زهران البدراوي، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1981م.
– علم اللغة العام: فردينان دي سوسير، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز، نشر بيت الحكمة، الموصل – العراق، ط3، 1988م.
– فضائل القرآن: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى : 774هـ)، مكتبة ابن تيمية، 1416 هـ.
– فهم فردينانـد دو سير وفقًا لمخطوطاته: لويك دوبيكير، ترجمة: ريما بركة، المنظمة العربية المتحدة، بيروت، ط1، 2015م.
– القاموس المحيط: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: 817هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط8، 2005م.
– الكتاب: عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (المتوفى: 180هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3 ، 1988م.
– الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، 1407 هـ.
– لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ)، دار صادر – بيروت، ط1، 1414 هـ.
– لمسات بيانية في نصوص من التنزيل: فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري السامرائي، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، ط3، 2003 م.

– مباحث تأسيسية في اللسانيات: عبد السلام المسدي، دار الكتب الجديدة المتحدة، ليبيا، ط1، 2010م.
– مجمع البيان في تفسير القرآن: أمين الإسلام أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (المتوفى: 548هـ)، دار المرتضى، بيروت، 2009م.
– محاضرات في الألسنية العامة: فرديناند دي سو سير، ترجمة: يوسف غازي، مجيد النصر، دار النعمان للطباعة والنشر، جونية – لبنان، ط1، 1984م.
– محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة: شفيقة العلوي، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيه، بيروت – لبنان، 2004م.
– المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، 1422 هـ.
– مختار الصحاح: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: 666هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ط5، 1999م.
– مدخل إلى لسانيات سوسير: حنون مبارك، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1991م.
– معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي: أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: 510هـ)، تحقيق: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحر، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط4، 1997م.
– المعجزة الكبرى القرآن: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: 1394هـ)، دار الفكر العربي.
– معجم علم اللغة وعلم الأصوات: ديفيد كرستال، 2003م.
– مفاتيح الغيب = التفسير الكبير: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط3، 1420هـ.
– منهج المدونة المغلقة: حسن عبد الغني الأسدي، دار الرافد، قم، ط1، 2017م.
– الميزان في تفسير القران: محمد حسين الطباطبائي (المتوفى: 1402هـ)، صححه وأشرف على طباعته: الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط1المحققة، 1997م.

- النكت في إعجاز القرآن: علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرماني المعتزلي (المتوفى: 384هـ)، تحقيق: محمد خلف الله، محمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر،ط3 ، 1976م.
- نهج البلاغة: جمع الشريف الرضي محمد بن الحسين بن موسى (المتوفى: 406هـ)، تحقيق: الشيخ فارس الحسون، إعداد: مركز الأبحاث العقائدية.
- الوجيز في فقه اللغة: عبد القادر محمد مايو، مراجعة وتدقيق: أحمد عبد الله فرهود، دار القلم العربي، سوريا، ط1، 1998م.